قصص من القرآن الكريم




الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

١٢٧ ش أثر النبي خلف مسجد الرحمن مصر القديمة

٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ – ٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني yuness٢٠٠٥@hotmail.com

عبد الباسط البطل

سلسلة

قصص من القرآن وفرسان الإسلام

قصص من القرآن الكريم



١٢٧ ش أثر النبي – مصر القديمة ـ القاهرة
ت: ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ ـ ٠١٢٢٩٠٦٩٣٤٨

عبد الباسط ، عبدالباسط علي أمين البطل

من القصص القرآني : أ/ عبدالباسط علي أمين البطل- القاهرة

دار زهور المعرفة والبركة، ٢٠١٨

٧٩ ص   ١٧×٢٤سم

تدمك   : ٣ – ٩٨ – ٥١٧٢ – ٩٧٧ - ٩٧٨

١- القرآن الكريم

٢- العنوان

٢٢٩.١

رقم الإيداع   : ١٤٩١٤ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : ٣ – ٩٨ – ٥١٧٢ – ٩٧٧ - ٩٧٨

إهداء

إلى أستاذي ومعلمي.

صاحب القلم الرفيع.

الروائي الكبير

الأستاذ / علي ماهر عيد

مقدمة

في القرآن الكريم الكثير من الأوامر والنواهي، ساقها المولى عز وجل على هيئة قصص.

منها للتسرية عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومنها لإخباره عمّا سبق من الأمم، وكلها جاءت للعبرة والموعظة.

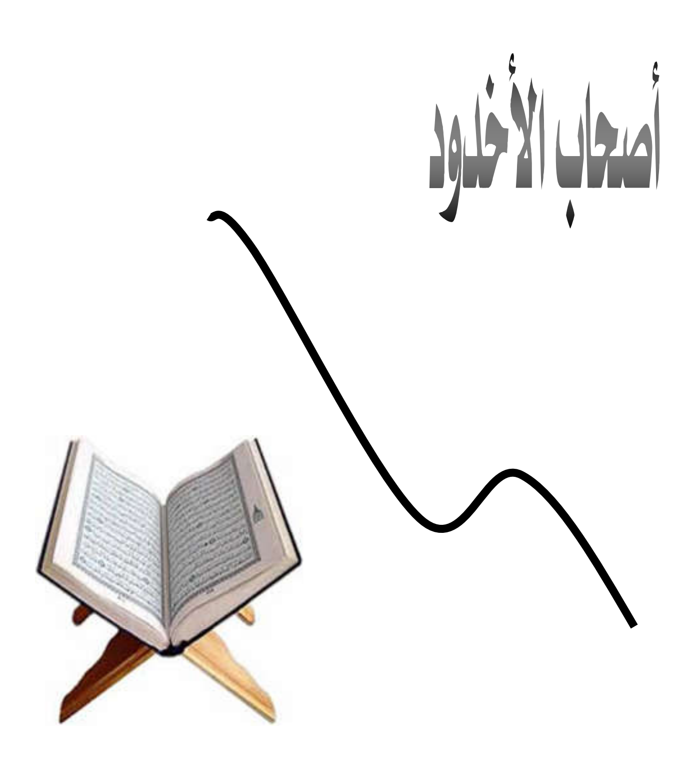
وقد ساق الله سبحانه هذه القصص بطريقة أبهرت المتخصصين في فن القص،.

منها على سبيل المثال، قصة سيدنا يوسف عليه السلام، والتي قال عنها أنها أحسن القصص.

إذًا الحكاية أو القصة، لها تأثير في النفس البشرية، بجانب أنها وسيلة إخبارية عن عهود ماضية، لم نكن نعرف عنها شيئا إلا بهذه الطريقة القصصية.

واخترت من هذه القصص القرآنية أشهرها، وأكثرها عبرة وعظة، موضحا الحكمة من وراء كل قصة، بطريقة سردية سهلة، حتى يسهل على الشباب فهم القصد من الحكاية.

أصحاب الأخدود



-١-

أصحاب الأخدود

نظر الملك (ذو نواس) للجالسين حوله، وهم صفوة القوم وأثرياءه والمقربين له، فلم يجد الساحر في مقعده ، فتعجب.. لغياب الساحر المتكرر عن جلسته، يبدو أن في الأمر شيء.

في اليوم التالي أرسل الملك لإحضار الساحر، فجاءوا به، وقد بدا عليه الكبر، فسأله الملك عن أحواله:

- كيف حالك أيها الساحر الكبير..؟!

- يبدو أن الأجل قد اقترب يا مولاي، والعمر تفلت من بين يداي.



-لا تقل مثل هذا أيها الساحر، أنت تعرف أنك جزء كبير من قواعد مملكتنا.

- نعم يا مولاي ... ولكنها الحقيقة، ولذلك سوف أطلب من مولاي شيئا.

- تفضل أيها الساحر..

- أنا املك علم كبير من السحر، وأخشى أن تفاجئني المنية، دون أن يتعلم أحد شيء من علمي هذا.

- وما العمل أيها الساحر..؟.

- اختر لي غلاما ترضاه يا مولاي، لأعلمه السحر، ويكون خليفة لي عندك، تستعين به على قضاء حوائجك من بعدي.

استحسن الملك هذه الفكرة، وبدأ يبحث عن غلام يثق به، ليكون خليفة للساحر، حتى عثر على صبي معروف بالذكاء والفطنة، وأرسله إلى الساحر.

هكذا كانت الملوك في العصور القديمة، دائما ما يستعينون بالسحر والسحرة في إدارة مملكتهم، ظنا منهم أن الساحر ركن أساسي من أساسيات المملكة، ولا يدوم الحكم إلا بوجود الساحر وسحره.

وكانت للساحر مكانة كبيرة عند الحكام، فهو من المقربين، وله أكبر قدر من المنح والعطايا، لأنهم يرهبون الناس بسحرهم وحيلهم، ويخضعونهم لأوامر الملك، وهذا على حساب حريتهم وأرواحهم وعرضهم أيضا.

و ذو نواس" مثل هؤلاء الملوك، حاكم ظالم، يشرب الخمر، ويستعبد رعيته، يحلل لنفسه ما يحرمه على الناس، ينتهك كل الحرمات دون خشية من الله الواحد الأحد، بل أوهم رعيته أنه إله، وعليهم عبادته.

مستعينا على ذلك بالساحر الكبير، أرهبهم بسحره وحيله، فخشي الناس أن يمسهم الساحر بسوء، وخضعوا لأوامره، وعبدوا الحاكم "ذا نواس" وهم كارهون.

إلا بعض العقلاء، فمنهم من مات على يد حاشية الحاكم، ومنهم من استطاع الهروب.

الصبي بين والحق والباطل

ذهب الصبي إلى الساحر كما أمره الملك، فهو لايستطيع أن يرفض أمرا للحاكم الظالم.

ففي كل يوم، يستيقظ الغلام مع صياح الديك، يغسل وجهه سريعا، ثم يسير على قدميه حتى خارج المدينة، ويمشي في الجبل وحيدا، يمرّ على كهوف كثيرة، حتى يصل إلى الساحر، حيث إنه يسكن في مكان بعيد عن الناس.

كان أول دروس الساحر للصبي، أن يتعالى على الناس، ولايخالط أحد، ويكره الخير ويحب الشر، وألايسدي معروفا لأحد قط .

فطأطأ الغلام برأسه، علامة على الموافقة، لكن قلبه كان ينكر هذه النصائح، لأن الغلام فيه بذرة خير، يحب الناس، ويحب مساعدتهم.

وذات مرة، كان الغلام في طريقه إلى الساحر كعادته، فإذا بصوت يأتي من أحد الكهوف، يقول: " اللهم يا خالق كل شيء، سجد لك كل شيء، لا إله إلا أنت، ارحمني برحمة من عندك، سبحانك يا ربي، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت".

كلام غريب على أذن الغلام، فتعجب، ودخل الكهف والخوف يملؤه، فرأى راهبا عجوزا، فسأله:

ماذا تفعل هنا أيها الرجل العجوز

أعبد الله سبحانه وتعالى

رد الغلام وهو في تعجب أشد :

الله.. ومن هو الله .؟. وأين هو.؟.

خالقي وخالقك وخالق كل شيء، فهو سبحانه في السماء مالك الملك

ولماذا تعبد الله ؟

أعبده لأنه أمرنا بذلك، ولكن الشيطان أضل الكثير من عباده

ومن هو الشيطان؟

هو عدو الله سبحانه وتعالى، والذي أضل الناس عن عبادة الله.

دار حديث طويل بين الغلام والشيخ، وضح فيه الشيخ الحلال والحرام، فكان لهذا الحديث أثر عجيب في نفس وعقل الغلام، فهو عكس ما يسمعه من الساحر، فأصبح حائرا، هل يصدق الشيخ الذي يدعو إلى الخير.. أم يصدق الساحر الذي يدعو إلى الشر..؟.

ومال قلبه إلى كلام الشيخ، وبدأ الإيمان بالله الواحد الأحد يسري في قلبه، فواظب على الجلوس معه ساعة في الصباح، قبل الذهاب إلى الساحر، وساعة في المساء قبل أن يعود إلى بيته، حتى أصبح على علم بتعاليم دين الله سبحانه وتعالى، رغم أن الساحر يعده كل يوم بامتلاك مفاتيح القوة، وإخضاع الناس له ليكونوا رهن أوامره.

لاحظ الساحر تأخر الصبي كل صباح، فعاقبه بالضرب، كما لاحظ والده تأخره في العودة في المساء، فعاقبه أيضا.

الصبي يقتل الوحش

وذات مرة، كان الصبي عائدا إلى بيته، فوجد الناس تجرى هنا وهناك، يصرخون، عرف منهم أن دابة متوحشة تقطع الطريق على المارة، وتفترس كل من يقترب منها.

رأى الغلام فرصته، وحدث نفسه، قائلا " سوف أقذف الدابة بحجر، مستعينا بإله الراهب، فإن ماتت الدابة، سأتبعه لأنه على حق، وإن لم تمت، فيكون الساحر على حق.

وامسك الغلام بحجر، وراح يقترب من الوحش، والناس تصرخ فيه، تحذره من الاقتراب، ولكن الصبي لا يبالي، فهو يريد أن يعرف أين يكون الحق..؟.

حتى اقترب من الوحش، ورفع ذراعه في الهواء، وقال: " اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس".

ثم رمي الدابة بالحجر، فقتلها، فهللت الناس فرحين، وأشادوا بشجاعة الغلام، في الوقت الذي سكن قلبه، وعرف أن الراهب على دين الله حقا، وشهد بأن لا إله إلا الله، فهو خالق كل شيء، ورازق كل شيء.

في اليوم التالي، كان الصبي في طريقه إلى الراهب، ثم إلى الساحر كعادته، فوجد امرأة تصرخ، وعلى كتفها طفل رضيع، استنجدت به ليساعدها، وطلبت منه أن يشفي رضيعها المريض، فأبلغها الغلام أن الشافي هو الله، وعليها أن تؤمن بالله أولا، ثم يدعو الله، فيشفي الله ولدها .

فوافقت المرأة، وقال : " آمنت برب الغلام"، فدعا الله لولدها بالشفاء، فشفي بإذن الله.

ومضي الغلام لحال سبيله، وأبلغ الراهب بما حدث، فبشره بأنه أصبح على درب الهدايه، وأصبح عبدا مقربا إلى الله، ثم أبلغه أن الله سوف يبتليه، كما أبتلى أصحاب الإيمان من قبله، فعليه أن يصبر، وألا يبلغ أحدا بمكان الراهب.

الملك ينتقم من المؤمنين

ذاع صيت الغلام في المدينة، وعرف الناس أن هناك إله واحد أحد، غير الملك "ذي نواس"، يشفى الأكمه والأبرص والأعمى، بشرط الإيمان به.

وكان من جلساء الملك رجل ضرير، يتردد عليه مع الحاشية.

سمع الرجل الضرير عن الصبي، وعن قدرته في شفاء المرضى، فذهب إليه مثلما تذهب الناس، وعرض عليه هدايا وأموالا كثيرة، بشرط أن يشفيه.

لكن الغلام أبلغه أنه لا يشفي أحدا، وأن الشافي هو الله، ويجب أن يؤمن بالله أولا، حتى يدعو له.

فأعلن الرجل الضرير إيمانه بالله الواحد الأحد، ودعا الغلام له بالشفاء، فشفاه الله.

فرح الرجل، وأسرع إلى الملك"ذي نواس"، فتعجب الملك، وسأله:

من شفاك؟!

الله ربي

هل لك إله غيري

أنت لست إله، الله خالقي وخالقك وخالق كل شئ.

ثار الملك، وغضب على جليسه الذي كان أعمي بالأمس، وأخذ يعذبه، حتى يرجع عن دينه، ولكن الرجل رفض العودة لعبادة الملك، وظل على إيمانه بالله الذي شفاه، فشق الملك رأسه بالمنشار، بعد أن اعترف على الغلام.

ثم أمر الملك بإحضار الغلام، وأخذ يعذبه، حتى اعترف على الراهب، فأحضره الملك أيضا، وطلب منه أن يرجع عن دينه، لكن الراهب رفض ، فشق رأسه بالمنشار هو الآخر.

وبعد التعذيب، أصدر الملك أمرا إلى رجاله، بأن يأخذوا الغلام إلى أعلى الجبل، فإما أن يرجع عن دينه، وإما أن يلقوه من أعلى الجبل.

فأخذوه إلى أعلى الجبل، وقبل أن يلقوه، دعا الغلام ربه قائلا:" اللهم أكفنيهم بما شئت" , فارتجف الجبل فسقطوا إلا هو, وعاد الغلام إلى الملك بدونهم.

تعجب الملك، وسأله عن رجاله، فأخبره أن الله كفاه إياهم، فثار الملك، وأمر بعض رجاله، أن يأخذوه في القارب، حتى وسط البحر، ويخيروه بين الرجوع عن دينه، أو الموت غرقا.

فأخذه الرجال في القارب، حتى توسطوا به البحر، وهناك دعا الغلام ربه قائلا:" اللهم أكفنيهم بما شئت , فغرق بهم القارب إلا هو, وعاد إلى الملك بدونهم مرة ثانية, فسأله عن رجاله، فقال : كفانيهم الله.

جن جنون الملك، واحتار ماذا يفعل مع الغلام.!.

لكن الغلام ابتسم وقال للملك: أنت لا تستطيع أن تقتلني إلا إذا فعلت ما آمرك به.

قال الملك :" وماذا تريدني أن افعل.؟.-

قال الغلام:

اجمع سكان المدينة، واصلبني على جذع شجرة، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم قل : باسم الله رب الغلام , ثم ارمني به, فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني .

وسرعان ما جمع الملك الناس, وصلبه على جذع , ثم أخذ سهما من كنانة الغلام , ووضع السهم في كبد القوس, ورمى الغلام دون أن يقول بسم الله رب الغلام، فلم يصبه، ثم حاول مرة ثانية، ومرة ثالثة، ولكن الغلام ذكره بأن يقول بسم الله رب الغلام.

وأخذ الملك سهما آخر، وقال : " : باسم الله رب الغلام , ثم رماه فمات الغلام.

وهنا صاح الناس وقالوا : آمنا برب الغلام , آمنا برب الغلام , آمنا برب الغلام ,

آمن الناس برب الغلام، وهذا ما كان يخافه الملك، فغضب غضبا شديدا، وأمر بحفر أخدود في الأرض، وإشعال النار فيه، ومن لم يرجع عن عبادة رب الغلام، فسيلقى في نار الأخدود.

الرضيع يكلم أمه

رفض الكثير من الناس العودة إلى عبادة الملك، وفضلوا الموت حرقا في النار، لأنهم عرفوا أن دين رب الغلام هو الحق، حتى جاءت امرأة، وعلى كتفها طفل رضيع، تقاعست لحظة، وكادت أن تعود عن إيمانها بالله مع الذين عادوا خوفا على طفلها، ولكن الله سبحانه وتعالى انطق رضيعها، فقال لها :" اصبري يا أماه فإنك على الحق"، فتعجبت لقول رضيعها، وازداد إيمانها بالله، ثم ألقت نفسها، فكان جزاؤها الجنة مع المؤمنين إن شاء الله .

ولم يترك الله سبحانه الملك"ذو نواس" لقد أعد الله له نارا يخلد فيها، فقال في كتابه العزيز :"

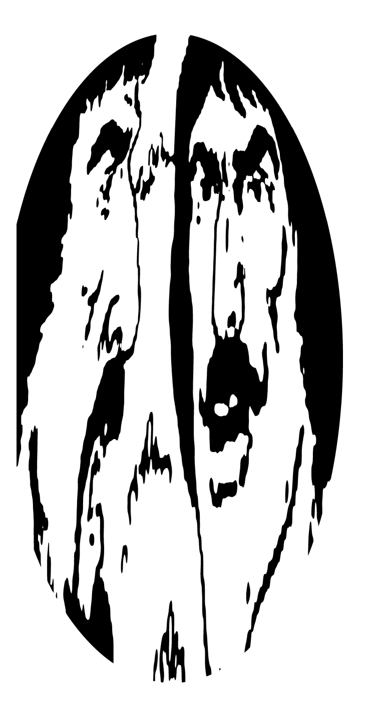
(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أصحاب الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)




أصحاب الجنة

- ٢ -

أصحاب الجنة



رزق الله سبحانه وتعالى أهل مكة بنعيم لايحصى ولايعد، أعطاهم المال والبنين، والصحة والعافية، ومنحهم سبل العيش والسعادة.

ورغم ذلك، أشركوا بالله خالق كل شئ، ورازق كل شئ، مما أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يسري عن الرسول الكريم سيدنا - محمد –صلى الله عليه وسلم-، فأنزل عليه آيات من القرآن الكريم، من سورة القلم، يحكى له فيها قصة أصحاب الجنة، ويبين له أن الله الذي أعطى النعيم، قادر أن يسلبه، فسبحانه وتعالى هو القادر على كل شئ.

كانت هذه الجنة لرجل طيب صالح، رزقه الله بها، وأجرى فيها الماء العذب، فأتت من الثمار كل ما لذ وطاب، وكل ما تشتهي الأنفس.

لم يغتر الرجل الصالح بجنته ونعيمها، فهو يؤمن أنها من عطايا الله سبحانه، ولذلك كان يعمل بجوار البستاني والعمال، كأنه واحد منهم، دائم الشكر والعبادة لله، معترفا بنعم الله وفضله عليه، متواضعا لعزته وكبريائه وعظمته.

وأحسن الرجل الصالح التعامل مع الله، فلم يحرم من جنته حق الفقراء والمساكين يوم الحصاد، وكان يعطيهم حقهم الذي فرضه الله عليه عن طيب خاطر، قبل أن يبيع من ثمرها شيئا ، وقبل أن يدخل بيته ثمرة واحدة، محتسبا الأجر عند مولاه.

هكذا كان الرجل، كريما جوادا، ينفق في سبيل الله بقدر ما يستطيع، حتى توفاه الله، فورثه أولاده حديقته.

وذات يوم، نظر الفتية إلى ثمار الجنة، فأعجبتهم، لقد كانت ثمارا كثيرة هذه المرة، لم يرزقوا بها في حياة أبيهم.

ملأهم الغرور والطغيان، وتعاهدوا فيما بينهم، على أن يحصدوا ثمار الحديقة في الصباح الباكر، قبل أن يراهم أحد، حتى لا يعطوا الفقراء والمساكين شيئا من ثمار الجنة هذا العام، كما كان يفعل أبوهم من قبل، حتى يكونوا من الأثرياء.

["إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ"]

هكذا تعاهد الفتية، إلا واحدا منهم، مازال فيه الكرم وحب الخير، ورفض عهدهم هذا، ونصحهم بشكر نعم الله تعالى وتسبيحه، والتمسك بطريق الخير الذي كان عليه أبوهم،

ثم حذرهم بما سوف يقدمون عليه، فهو شر لهم، لأن الله سبحانه سوف يحرمهم من جنتهم جزاءا لحرمانهم الفقراء والمساكين، وذكرهم بأن الله بالمرصاد لكل من تسول له نفسه بمعصيته عز وجل.

لكنهم رفضوا نصائحه، وكادوا أن يفتكوا به، فاضطر إلى مسايرتهم وهو كاره لما اتفقوا عليه.

وبات الفتية، وباتت معهم نيتهم على حرمان الفقراء والمساكين من حقهم في البستان، ولا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد.

وفي الصباح الباكر، تنادوا على بعضهم بصوت خافض، حتى لايسمعهم أحد من الفقراء والمساكين، وذهبوا ليحصدوا ثمار بستانهم قبل أن تستيقظ الناس، فإذا بالمفاجأة.

لقد أرسل الله على جنتهم بلاءا شديدا، اقتلع أشجارها من الجذور، وأسقط أوراقها، وأيبس ثمارها، وأحرق كل أخضر فيها، فأصبحت كالهشيم.

[" فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥ "]

وقفوا أمام جنتهم وهم في ذهول، عقولهم شاردة، وعيونهم زائغة، يلتفتون حولهم يمينا ويسارا في تعجب شديد، ثم تساءلوا فيما بينهم، هل هذه جنتنا التي كانت بالأمس مخضرة ومثمرة، وتحمل من الخيرات ما لا تحمله جنة مثلها ؟.. لا لا .. يبدو أننا ضللنا الطريق.. لم تكن هذه جنتنا أبدا.

["فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧)"]

أما أخوهم الأوسط والأعقل، كان يقف هادئا، ينظر إليهم وهو يبتسم، ثم قال لهم:

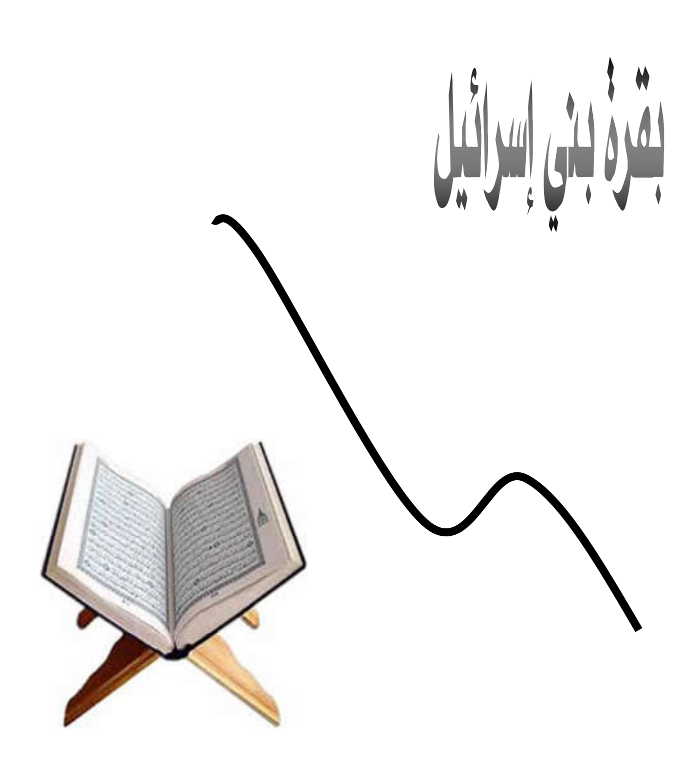
" بل هي جنتكم يا إخوتي، لقد أرسل الله سبحانه وتعالى عليها البلاء، وحرمكم من خيرها، لأنكم حرصتم على حرمان الفقراء والمساكين وابن السبيل من حقهم فيها، و لم تخلصوا النية مع الله، ولم تسمعوا

نصيحتي لكم بالأمس، حين قلت لكم أشكروا الله وسبحوه على نعمه، ولكنكم أبيتم واستكبرتم، فجزاكم الله بما أسررتم بخبثكم وسوء نيتكم، وانتقم الله منكم، وهذا عذاب في الدنيا، غير عذاب الآخرة.

[" قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ(٣٠)قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢)كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣)"]



بقرة بني إسرائيل



-٣-

بقرة بني إسرائيل



عثر بنو إسرائيل على رجل منهم مقتولا، وكان ابن رجل ميسور الحال، يسر له الله أسباب الرزق، فأصبح من أثرياء نبي إسرائيل في هذا الوقت.

اتهم أولاد عم القتيل عائلة أخرى بقتله، وطالبوا بالقصاص منهم، وكادت أن تشتعل الحرب بين العائلتين.

والعائلة الأخرى تنكر هذه الجريمة، مما جعل بني إسرائيل في حيرة من أمرهم، فبحثوا عن حل يخمد نيران الحرب بين العائلتين.

لم يجدوا غير سيدنا موسى، فذهبوا إليه، تلم هى عادة بني إسرائيل كلما وقعوا في حيرة، وقالوا يا موسي أنت نبي الله وكليمه فاسأل ربك يبين لنا من القاتل .

قام سيدنا موسي عليه السلام ودعا الله عز وجل أن يخبره عن القاتل، فأوحي الله إليه أن يأمر قومه بذبح بقرة.

اعترض بنو إسرائيل، لأن الأمر غريب بالنسبة لهم، وقالوا أتسخر منا يا موسى، فقال : أنا لا أسخر منكم ، ولكن هذا أمر الله.

[" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ"]

وبدأ بنو إسرائيل في الجدال كعادتهم، وراوغوا سيدنا موسى، وسألوه أن يطلب من ربه أن يحدد لهم البقرة، فسأل سيدنا موسى ربه أن يحددها لهم، فأخبره الله سبحانه وتعالى أنها بقرة متوسطة ، ليست كبيرة ولاصغيرة، وأخبرهم سيدنا موسى بأمر الله، فزاد بنو إسرائيل فى المراوغة والمجادلة.

[" قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ"]

قالوا البقر كثير، اسأل ربك ما لونها، فأخبرهم بأنها بقرة صفراء اللون، فجادلوا مرة أخرى، وقالوا اسأل ربك يبين لنا ما هي ، إن البقر تشابه علينا، فسأل موسى ربه، فوصفها الله عز وجل وصفا دقيقا، لا ينطبق إلا علي بقرة واحدة فأخبرهم أنها بقرة لا تعمل، ولا تحرث الأرض ولا تسقي الزرع خالية من العيوب.

[" قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فيها"]

وأخيرا قالوا : الآن جئتنا بالحق، وذهبوا يبحثون عن البقرة، ذات الصفات التي حددها لهم الله.

لم يجدوا بقرة تحمل هذه الصفات إلا بقرة واحدة، كانت ميراث صبي صغير عن والده المتوفى، حفظها الله له حتى كبر.

كان والد الصبي شيخا صالحا، لا يملك من الدنيا غير هذه البقرة وولد صغير،وزوجة صالحة، وكان دائم العبادة لله، يملك قلبا خالصا ونفسا طيبة.

لم يفتتن الرجل بمباهج الحياة وزخرفها، ولم يلهه التكاثر في الأموال والبنين، وعاش حياته عابدا لله وحده، لا يشرك به شيئا، يترك بقرته تقتات من حشائش الأرض، ويتوجه بقلب خاشع إلى الله، يصلي ويسبح، حتى ينقضي النهار.

هكذا كانت حياة هذا الرجل الصالح، حتى شعر باقتراب أجله، دعا الله مخلصا أن يحفظ هذه البقرة حتى يكبر ولده، لتكون له معينا ومصدر رزق يقتات منه هو ووالدته، فاستجاب الله لدعاء الرجل، وحفظ البقرة حتى اشتد عود ولده، وأصبح صبيا طائعا لله بارا بوالدته.

لم يرث الصبي عن والده هذه البقرة فقط، بل ورث الصلاح والعبادة أيضا، فسار على نهج والده، وزاد عنه بره بوالدته، والتي كانت تدعو ليل نهار أن يحفظ الله ولدها هذا.

اشتري بنو إسرائيل البقرة من الصبي، مقابل ملء جلدها ذهبا، مكافأة من الله للغلام، لأنه كان بارا بأمه، ولأن والده كان صالحا ، وعقابا لبنى إسرائيل، على جدالهم وعنادهم نبى الله موسى كثيرا.

ثم أوحي الله عز وجل إلي موسي عليه السلام، أن يذبحوا البقرة ويأخذوا منها جزءاً، ويضربوا به القتيل، ففعلوا فأحيا الله عز وجل القتيل، فقام وأخبرهم عن القاتل، ثم مات مرة أخرى.

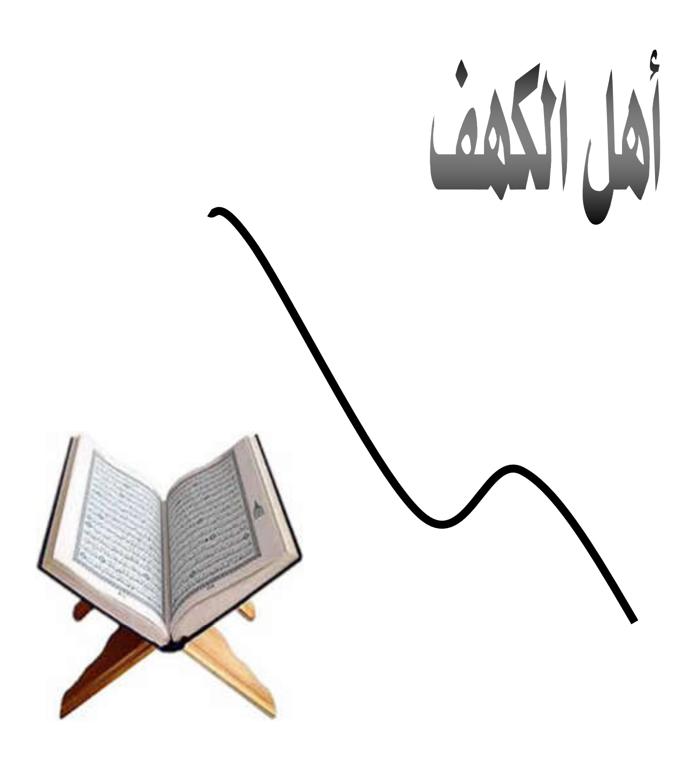
عرف بنو إسرائيل قصة القتيل، فهو ابن وحيد لرجل ميسور الحال، أعطاه الله ثراءا واسعا، وسوف يرث إبنه هذه الثروة الكبيرة، بعد وفاة والده.

لكن لعب الشيطان برأس أولاد عمومته، ووسوس لهم بقتل ابن عمهم، حتى يكونوا هم الورثة بعد وفاة عمهم.

{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}



أهل الكهف

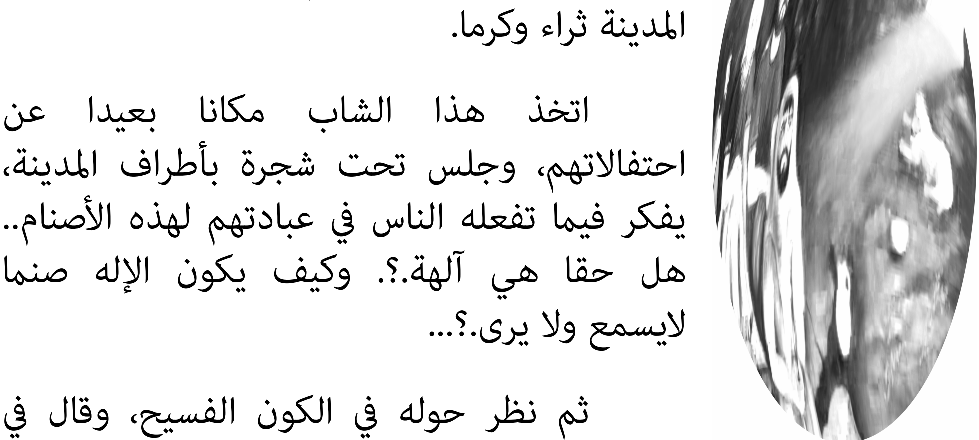


-٤-

أهـل الكهف

اتخذ أهل "أفسوس" عيدا لأصنامهم، يحتفلون فيه بآلهتهم المزعومة، يتقربون فيه بالقرابين والسجود والركوع لها، ويشربون الخمر ويقبلون على النساء ويقترفون كل المعاصي.

وليست الرعية وحدها على هذا الدين وذاك الضلال، بل كان الملك أكثرهم عبادة وولاء وقدسية لهذه الأصنام.



ولأن العبادة راحة واطمئنان، لم يطمئن قلب شاب من أهل المدينة لعبادة الأصنام، ولم تسترح نفسه لما تفعله الناس، رغم أنه من أشرف بيوت المدينة ثراء وكرما.

اتخذ هذا الشاب مكانا بعيدا عن احتفالاتهم، وجلس تحت شجرة بأطراف المدينة، يفكر فيما تفعله الناس في عبادتهم لهذه الأصنام.. هل حقا هي آلهة.؟. وكيف يكون الإله صنما لايسمع ولا يرى.؟...

ثم نظر حوله في الكون الفسيح، وقال في نفسه " لابد أن يكون لهذا الكون وهذه الحياة خالق ومدبر ومحيي ومميت.. وليس صنما لا ينفع ولا يضر".

وبينما هو كذلك، فإذا بشاب آخر يأتي إلى مجلسه، وسأله عن سر جلوسه وحيدا هكذا، والمدينة تحتفل بأعياد الإلهة..؟.فأجابه بما يجول في خاطره، وأخبره أنه لا يرتاح لما تعبده الناس، وما يقومون به من طقوس حول الأصنام.

وكان الشاب القادم يفكر كما يفكر الشاب الأول، وأسر له أنه هو الآخر لا يرتاح مثله لما تفعله الناس.

وأصبحا صديقين يلتقيان على محبة خالصة في قلوبهم، ويفترقان على هذه المحبة.

ثم انضم إليهما واحد بعد واحد، حتى أصبحوا عددا صغيرا لا يعلمه إلا الله، تعارفت قلوبهم، وتآلفت أرواحهم، وجلسوا يتأملون فيما أبدع الله في خلق السموات والأرض، فأضاء الله نفوسهم وقلوبهم بنور بالتوحيد، وآمنوا بفطرتهم بأن هناك إلها لهذا الكون، أولى بالعبادة من هذه الأصنام التي يعكف عليها أهل مدينتهم، فاهتدوا إلى الله سبحانه، وعبدوه دون غيره، واطمأنوا إلى دين الله سبحانه وتعالى.

["نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)"]

كان إيمانهم بالله سرا بينهم، فهم يعرفون أن الملك يقدس الأوثان، ولا يقبل أن يكون هناك دين آخر، وإذا علم بأمرهم، سوف يعذبهم أو يقتلهم إن لم يعودوا إلى عبادة الأصنام.

ولم يعرفوا أن الجواسيس كانت لهم بالمرصاد، يرقبهم ليل نهار، حتى عرفوا متي يجتمعون.. ومتى ينصرفون.. ؟. وأيقنوا أنهم على دين غير دين آبائهم.

ثار الملك، واستشاط غضبا، كان يخشي أن تعرف العامة بأمرهم، فيقبلون علي دين الله، ويتبعونهم ، ويتركون شريعتهم الضالة، فأمر بإحضارهم.

وعندما أصبحوا أمامه، قال لهم :" علمت أنكم تركتم دين آبائكم، وحاولتم ستر أمركم، وكتمان سركم، ولكن لم تفلحوا، وسوف أمنحكم فرصة إلى الغد، لأنكم من أشراف المدينة، وأبناء كبرائها، وإن لم تعودوا إلي ديننا، سوف يكون مصيركم القتل"..

ذهب الفتية يفكرون ويتشاورون فيما بينهم، هل يعودون لعبادة الأصنام مرة أخرى لينجو بحياتهم، أم يظلون على عبادة الله الواحد الأحد..؟.

ثم حزموا أمرهم، وعزموا على الفرار بدينهم، لأنه لا مقام لهم في مدينة يحكمها ملك ظالم، عابد لأصنام لا تنفع ولا تضر، ولا أمان علي أنفسهم من كيد قومهم.

حمل الفتية زادهم، وتسللوا فرادى إلي خارج المدينة، ثم التقوا في مكان اتفقوا عليه سابقا، مفارقين قومهم، مهاجرين بدينهم.

مر الفتية على راعى غنم، فسألهم.. لماذا يتخفون من أهل المدينة.. وإلى أين يذهبون..؟

فأجابوه بأمرهم، بعد أن توسموا فيه خيرا.

فوجه الفتى الغنم التي يراعاها تجاه المدينة، لتعود إلى صاحبها، وسار مع الفتية، يتبعهم كلبه الذي رفض أن بفارقه.

ترك الفتية خلفهم النعيم والفراش الوثير، وجاءوا إلي هذا الكهف الموحش، لينجوا بدينهم وأنفسهم من فتنة أهل المدينة الضالة

والملك الظالم، لأن الإيمان بالله ملأ قلوبهم، ولأنهم عرفوا أن الحياة الآخرة خير من متاع الدنيا.

وصل الفتية إلى الكهف بعد سير طويل، ألقوا زادهم على الأرض، وألقوا أجسادهم بجوارها، لقد أنهكهم المسير، ثم قاموا مرة أخرى، تناولوا طعامهم، ثم داعب النوم جفونهم، فاستسلموا له، ورقدوا مكانهم، كما رقد كلبهم على باب الكهف.

[" إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(١٠)"] الكهف

رغم ضيق الكهف، فهو أوسع من مدينة ضل أهلها، وأرضه الصلبة أطيب من أرض المدينة، التي لا يستطيعون أن يعبدوا الله فيها، وأناره الله بإيمان قلوبهم .

احتفظ الله سبحانه بمعرفة عدد الفتية، ، وأمر الرسول الكريم سيدنا محمد- صل الله عليه وسلم- أن لايجادل أحدا من المشركين في ذلك.

" سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا(٢٢)"

تعاقبت عليهم الأيام والليالي، ومضي عام وراء عام، وهم في الكهف نيام، لا يزعجهم ريح أو حر أو برد،

" فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(١١)" الكهف

كانت الشمس تشرق على الكهف، تدخل من فتحة لتنير ظلمته، دون أن تصل إليهم أشعتها، وتغرب في أخر النهار، تبتعد عنهم، لتحفظ أجسادهم، يقلبهم الله سبحانه بقدرته يمينا مرة ويسارا أخرى، حتى لايشعرون بالتعب، وحتى لاتتأثر أجسادهم بالأرض، عيونهم مفتوحة، يظن الناظر إليهم أنهم مستيقظون، فلا يقترب، ويهرب خوفا منهم.

"وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا(١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(١٨) "الكهف

بعد تسع وثلاثمائة سنة، استيقظ الفتية، تساءلوا فيما بينهم، كم مضي من الوقت وهم في نومهم.. هل يوم.. أو بعض يوم..؟.

لم يصلوا إلى إجابة قاطعة، فهم لا يعرفون أنهم قضوا تسعا وثلاثمائة سنة.

ثم شعروا بالجوع، فجمعوا النقود التي معهم، وأرسلوا واحد منهم ليأتي لهم بطعام من المدينة، وأوصوه أن يتخذ الحيطة والحذر، حني لا يشعر به أحد، فيكون القبض عليهم، وإعادتهم إلي الملك، هو مصيرهم المحتوم، وقتها سوف يكون مصيرهم الرجم حتى الموت، أو إعادتهم إلي عبادة الأصنام.

"وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا(١٩) ، إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) " الكهف

سار الفتي داخل مدينة "أفسوس". نظر حوله يمينا ويسارا، يتعجب، لقد تغيرت الشوارع والمباني، الخرابات أصبحت قصورا، والقصور أصبحت خرابات، وجوه الناس غريبة لم يألفها من قبل.

ظهر عليه الاضطراب والخوف، ظن أنه في مدينة أخرى غير التي تركها هو وأصحابه.

والناس أيضا ينظرون إليه في ريب، تفضحه لفتاته السريعة واندهاشه، غير ثيابه تختلف عن ثيابهم، فظن الناس أنه غريب عن مدينتهم.

ثم اقترب الشاب من بائع الطعام، قدم له ما معه من نقود، نظر البائع إليه وإلي النقود باستغراب، وأخبره أن هذه النقود قديمة جدا، وأنها انقرضت منذ زمن.

ارتاب الناس في أمره، فقبضوا عليه وساقوه إلي الملك، وأخبرهم بقصته هو وأصدقائه المؤمنين.

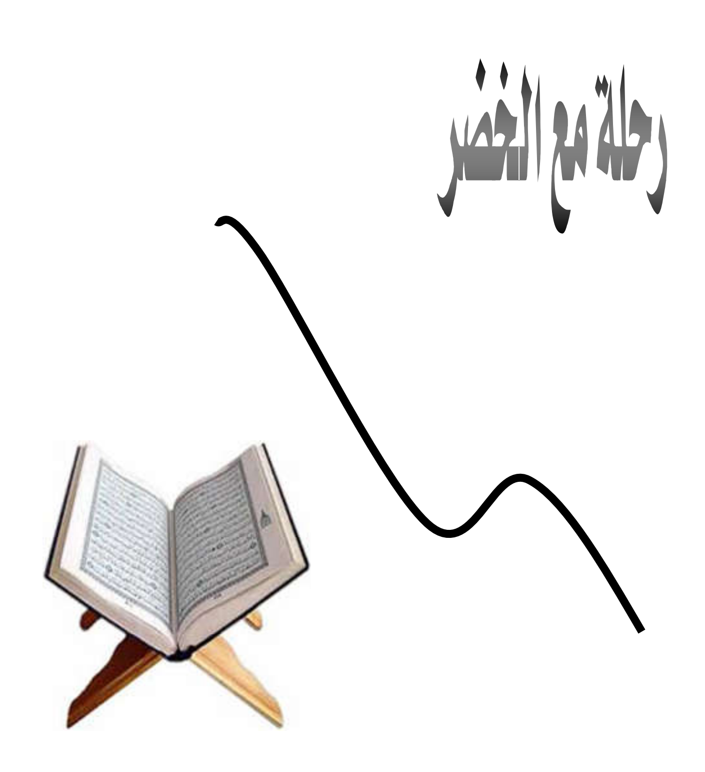
طمأنه الملك، وتذكر الناس هؤلاء الفتية، وأبلغوه مأمنه، وقالوا له: إن الملك الظالم قد مات منذ ثلاثمائة وتسع سنين، وسكان المدينة اليوم مؤمنون، غير سكانها القدامى.

وأصطحب الفتي الملك وأهل المدينة إلي أصحابه، فرأوهم أحياء في الكهف، ثم أماتهم الله جميعا مرة أخرى.

اختلف أهل المدينة في أمر هؤلاء الفتية، فهل يبنوا عليهم بنيانا.. أم يبنون مسجدا..؟. ثم استقروا علي بناء مسجد، وبذلك.. تتذكر الناس قصتهم، و يتناقلونها جيلا وراء جيل، ويعرفون أن الله قادر علي إحياء الموتى مرة أخري.

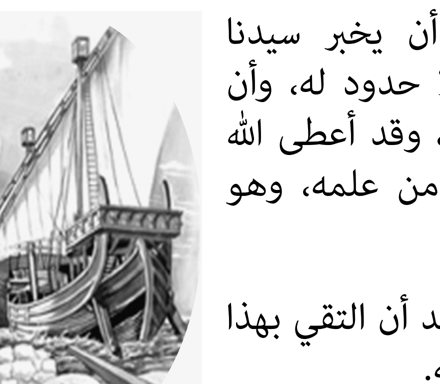
" وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا(٢١)" الكهف

***


رحلة مع الخضر

-٥-

رحلة مع الخضر



أراد الله سبحانه أن يخبر سيدنا موسى، أن علم الله واسع لا حدود له، وأن الله لم يختصه بالعلم وحده، وقد أعطى الله لعبد من عباده علما أكثر من علمه، وهو هناك عند مجمع البحرين.

قال موسى يا ربي أريد أن التقي بهذا العبد، حتى أتعلم مما علمته.

فقال الله عز وجل : خذ معك حوتا صغيرا، وعندما يزحف الحوت الى الماء، فهناك يكون العبد الصالح.

أخذ موسى عليه السلام خادمه يوشع بن نون، ومعه الحوت، ومضيا يقصدان مجمع البحرين لكي يلتقيا بالخضر عليه السلام.

وقال موسى عليه السلام لخادمه: لن ارتاح حتى أصل إلى المكان الذي فيه الخضر عليه السلام كى أتعلم منه ، حتى لو كلفنى الأمر أن أسير سنوات طويلة.

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً }

ومضيا في طريقهما، حتى وصلا مجمع البحرين،أى المكان الذى يكون فيه سيدنا الخضر، فجلسا ليستريحا عند صخرة، فأحيا الله سبحانه الحوت، وقفز فى البحر.

ولكن الشيطان شغل الخادم ، نسى أن يبلغ سيدنا موسى بأمر الحوت، وسارا مرة أخرة، حتى شعر سيدنا موسى بالجوع، فقال لخادمه، آتنا غداءنا، فتنبه الخادم وتذكر الحوت ، وقال: لقد نسيت الحوت عند الصخرة، وقفز فى البحر، وأنى نسيت أن أخبرك بالأمر، لقد شغلنى الشيطان.

{ قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً}

عاد سيدنا موسى مسرعا، وخلفه فتاه، حتى وصلا إلى الصخرة، فوجدا سيدنا الخضر هناك، فقال له موسى :

أنا موسى من بنى إسرائيل ، هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله..؟.

. قال سيدنا الخضر:

إنك لن تستطيع معي صبرا،

ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أي أمر .

وافق الخضر،بشرط ألايسأله سيدنا موسي عن أي شئ ، ولايقول له لماذا صنعت هذا أو فعلت كذا، حتى يخبره هو بالأمر .

["قالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً، قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرا،قالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ "]

وانطلق سيدنا موسى مع الخضر، حتى ركبا سفينة، ومد الخضر يده ، واقتلع لوحا خشبيا من السفينة، فخرقها، فتعجب سيدنا موسى وسأله:

أخرقت السفينة لتغرق أهلها، هذا أمر منكر.

قال له الخضر بهدوء:

ألم أقل لك لا تسألنى عن شئ أفعله يا موسى .

لا تؤاخذنى ، لقد نسيت .

{ "قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا، فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرا "}

سارا معه مرة ثانية، حتى لقيا غلاما صغيرا، فأخذه الخضر عليه السلام وقتله، فتعجب سيدنا موسى، وقال له : لماذا تقتل نفسا طاهرة بريئة ..؟. هذا أمر حرمه الله سبحانه.

فرد عليه الخضر فى هدوء، الم اقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا ، لن تصبر معي يا موسى.

قال موسى: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولاتصاحبني، قد بلغتَ العذر في شأني ولم تقصر؛ وأخبرتَني أني لن أستطيع معك صبرًا.

{"فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْرا، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً، قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً"}

وسار معه مرة ثالثة، حتى دخلا قرية، وطلبا من أهلها طعاما ، فامتنع أهل القرية ، ولم يعطوهما شيئا، ثم سارا، ووجدا في القرية جدارا مائلا، ، فقام الخضر عليه السلام وأصلح الجدار.

قال له موسى: هذا عمل جميل، فلو طلبت أجرا مقابل عملك هذا لأخذته.

فقال الخضر عليه السلام، هنا نفترق يا موسى، وسوف أقول لك لماذا خرقت السفينة؟. ولماذا قتلت الغلام..؟. ولماذا أقمت الجدار ..؟.

{فانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْه أَجْرا}.

أما السفينة فأصحابها مساكين، يعملون عليها ليكسبوا رزقهم في البحر ، وكان وراءهم ملك ظالم ، يأخذ كل سفينة غصبا ، فخرقتها حتى أعيبها، ولا يأخذها هذا الملك الظالم.

{ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً }

وأما الغلام الذي قتلته ، فكان أبواه مؤمنين، والغلام شقى، فخفت أن يتسبب في إرهاقهما ويردهما إلى الكفر، فأرد الله أن يبدلهما غلاما صالحا خيرا منه، يحسن معاشرتهما.

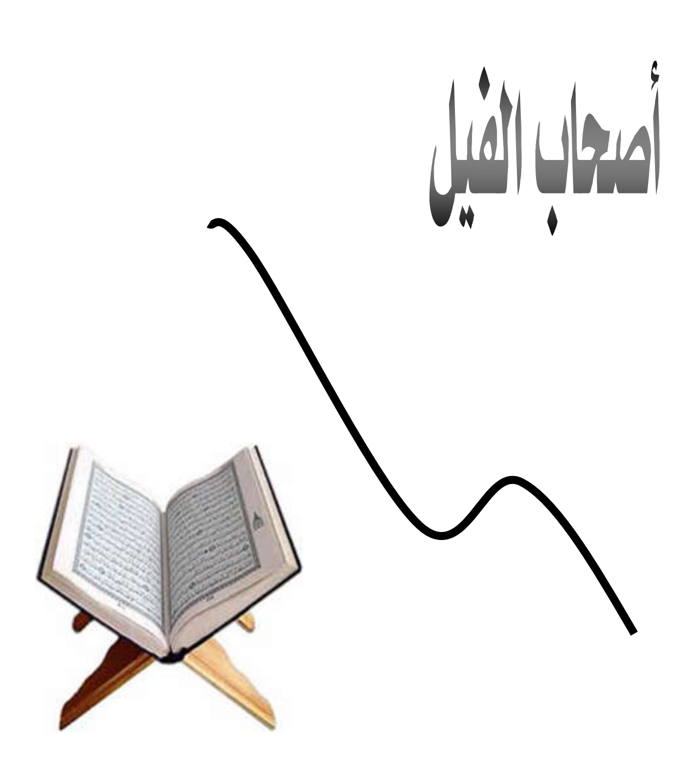
{ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً}

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين ، وتحت الجدار كنز مدفون، وهما ضعيفان، وأبوهما كان صالحا، فأراد الله أن ينتفع الغلامان بالكنز، فأقمت الجدار لحفظ الكنز تحته حتى يكبرا، ويستخرجا الكنز لينتفعا به.

وللعلم يا موسى، أنا لم أخرق السفينة، أو أقتل الغلام، أو أقم الجدار، برغبة منى ، ولكن بأمر من الله ، وعلم أهداني الله إياه ، وهذا الذي لم تستطع الصبر عليه ، مما تفضل به الله علىّ، ولله الفضل والمنة.

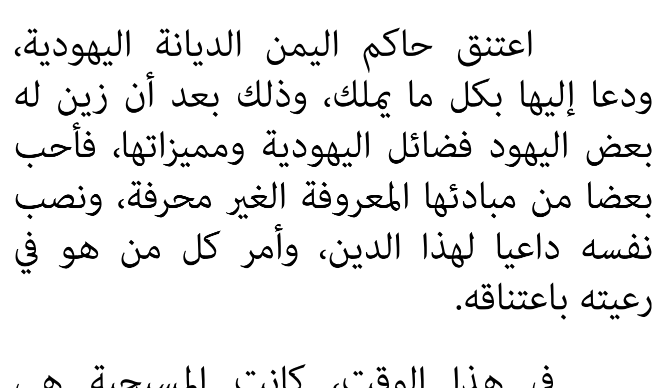


أصحاب الفيل



-٦-

أصحاب الفيل





اعتنق حاكم اليمن الديانة اليهودية، ودعا إليها بكل ما يملك، وذلك بعد أن زين له بعض اليهود فضائل اليهودية ومميزاتها، فأحب بعضا من مبادئها المعروفة الغير محرفة، ونصب نفسه داعيا لهذا الدين، وأمر كل من هو في رعيته باعتناقه.

في هذا الوقت، كانت المسيحية هي السائدة، وكانت تغزو قلب وعقل كل من يسمع عنها، وهذا قبل أن يحرفها بنو إسرائيل هي الأخرى.

ولذلك... كانت المسيحية هي العقبة أمام دعوة حاكم اليمن، فأعلن الحرب على كل من يعتنقها، وكل من يرفض اتخاذ اليهودية دينا، فآمن له الكثير، منهم من آمن خوفا على حياته، ومنهم من اعتنقها لأنها وافقت هواه.

أما أهل نجران، فقد كانوا على المسيحية الحقة، وتمسكوا بها، فأوحى أحد اليهود إلى حاكم اليمن بمعاقبة أهل نجران، وإعلان الحرب عليهم، وإحراق كل من يرفض الدخول في دين اليهودية.

استجاب الملك لغواية اليهودي، وجهز الجيش، ودخل نجران دون مقاومة من أهلها، فقد كانوا مسالمين بطبعهم، وأمر بحفر حفرة كبيرة في الأرض، وأشعل فيها النيران، ونادي في أهل نجران، من يرفض اليهودية دينا، فسوف تكون النار جزاءا له.

لكن الناس تمسكوا بدينهم، ولم ترهبهم النار، فرماهم في الحفرة، وأصبحت أجسادهم وقودا لها.

استطاع أحد أهل نجران الفرار من الحريق، وذهب يستنصر ملك الروم، ولكن ملك الروم رفض نصرة الرجل وعشيرته، ليس عجزا منه، ولكن لأن اليمن بعيدة جدا عنه، فأرسله إلى النجاشي ملك الحبشة، لأنه راعى المسيحية في الأرض، غير أنه أقرب إلى اليمن منه.

وعندما وصل الرجل إلى النجاشي، صور له الأحداث، وحكي له ما حل بقومه من قتل ودمار، وهلاك الزروع ، واستباحة الأموال، لأنهم استمسكوا بالمسيحية.

استشاط النجاشي غضبا، فكيف تهان المسيحية والمسيحيون وهو راعيها في الأرض..! وأصر على الانتقام لها ولكل معتنقيها، وأرسل جيشا كبيرا لمحاربة ملك اليمن، على رأسه قائد كبير يدعى أبرهة الأشرم.

استطاع أبرهة أن يهزم ملك اليمن، ويستولى على المدن كلها تقريبا، وساعده في ذلك أهلها، لأنهم لم يروا من الملك غير الظلم والاستعباد،وأصبحت اليمن ولاية تابعة للحبشة، بقيادة أبرهة الأشرم.

أراد أبرهة أن يرسخ المسيحية في أرض اليمن، تكريما لديانته، وإرضاء للنجاشي الذي ولاه عليها، فأقام فيها الكنائس، ودعا إليها في كل المدن والقرى، حاشدا كل طاقته وقوته في نشر المسيحية من جديد.

لكنه رأى أن الناس يذهبون إلى مكة، يحجون بيت الله الحرام والكعبة المقدسة، ففكر في جذب قلوب الناس، لينصرفوا عن الكعبة، فقام ببناء كنيسة كبيرة في اليمن، وزينها بزينة تبهر الأبصار وتخلب العقول، ووضع فيها الأثاث الفاخر، ظنا منه أن كل هذا سوف يصرف العرب عن عقيدتهم التي توارثوها.

وأرسل في القرى والمدائن، يدعو الناس لزيارة الكنيسة بدلا من الحج إلى الكعبة.

ولكن الناس لم تلتفت إلى الكنيسة، وانصرفوا إلى الكعبة كعادتهم، حتى أهل اليمن، لم تجذبهم النقوش والزخارف والأثاثات الفاخرة، وقاموا بتحقير الكنيسة والحط من قدرها.

بل وزاد أحدهم في الاستهزاء بها، فتبول داخلها، مما أغضب أبرهة، وأقسم أن يهدم الكعبة، ويزيلها من الأرض، انتقاما لبيته، وحتى يحج الناس إلى الكنيسة بدلا منها.

جهز جيشا كبيرا، وسار به نحو مكة، يتقدمه أفيال ضخمة، يجتاح كل القبائل التي تقابله في الطريق، يسلب خيراتها، ويحرق زروعها، تاركا خلفه دمارا مروعا.

رغم أن الغيرة تأكل صدور العرب على بيت الله، وحاولوا مقاومته، إلا أنهم عجزوا أمام جيشه الكبير، وخضعت له قبائل العرب، وأرسلت له الرسل، تقدم له الولاء والطاعة، وتظهر له الخضوع.

فزاده ذلك تكبرا وغرورا، فأرسل بعض جنوده، فساقوا إليه أموال القبائل وخيراتها، دون أدنى مقاومة من العرب.

وكان من بين هذه الأموال، مائتا ناقة لـ "عبدالمطلب بن هاشم"، فهو سيد عشيرته وشريف قومه، وصاحب السقاية.

تعجب أبرهة لاستسلام القبائل وخضوعها له، فأرسل إليهم رسولا من عنده، يبلغهم أنه لم يأت لحرب، لأنه لا حاجة له في دمائهم وأموالهم وإنما جاء لهدم الكعبة، فإن تعرض أحد له، فسوف يعلن إبرهة عليه الحرب.

فقال "عبدالمطلب": ونحن أيضا لا نريد حربا، لأنه لا طاقة لنا بها.

فاصطحبه الرسول ومعه بعض الرجال، أصحاب المشورة والكلمة العليا في مكة، إلى "أبرهة"، الذي اتخذ مكانا على مشارف مكة مقاما له.

وعندما وقعت عين أبرهة على "أبي طالب"، ورأى هيبته ووقاره ووسامته، أكرم ضيافته، ونزل من مقعده العالي، وجلس بجواره على بساطه، إكراما له ولهيبته.

ثم سأله عن طلبه، فطلب "أبو طالب" أن يرد ما اغتصبه جيشه من الإبل.

فتعجب "أبرهة"، وقال له :" أعجبتني طلعتك وهيبتك ووسامتك، والآن زهدت فيك يا رجل حين تكلمت، لأنك تكلمني عن مائتي بعير سلبهم جنودي منك، ولا تكلمني عن بيت هو دين أجدادك، أتيت أنا لأهدمه..؟.

فقال "أبو طالب":

أنا رب الإبل، أما البيت فله رب يحميه ويمنعك من هدمه.

تعجب إبرهة من قول "عبدالمطلب" ، وسأله:

وهل يستطيع أحد أن يمنع أبرهة وجيشه من هدم البيت

نعم.. رب البيت

أخذه الكبرياء، ولم يصدق كلمات "عبدالمطلب"، ورد إليه إبله، وقرر هدم الكعبة، رغم أن أشراف مكة عرضوا عليه أن يعطوه من المال ما يكفيه، ولكنه رفض قبول أي فدية.

وانصرف "عبدالطلب" ومن معه من أمام "أبرهة"، وذهب عبدالمطلب إلى أهل مكة، ونصحهم بالخروج عن الديار إلى الجبل، حتى لا يصيبهم أذى، فخرجوا جميعا، يراقبون أبرهة وهو يهدم الكعبة بجيشه الجرار، وبالأفيال الضخمة.

ثم عاد "عبدالمطلب" إلى الكعبة مرة أخرى، ومعه بعض من الرجال، تعلقوا ببابها، وأخذوا يدعون الله أن يحمي هذا البيت من إبرهة وجنوده، ثم خرجوا إلى الجبل، يراقبون مع الناس.

وبدأ أبرهة يدخل مكة، فهيأ جيشه، ودفع بالأفيال الضخمة في المقدمة إتجاه الكعبة، ولكن الله سبحانه وتعالى أرسل عليه هو وجنوده أسرابا من الطير، تحمل في مناقيرها حجارة صغيرة جدا، ألقتها على جنوده، فهشمت رؤوسهم، ومزقت أجسامهم.

ورغم ما رآه أبرهة في جنوده، لم يعتبر، فما زال يكابر ويعاند، ويدفع بالأفيال نحو الكعبة، والأفيال ترفض الاقتراب منها، حتى أصابه ما أصاب جنوده، ففزع، وعرف انه أمام جند من عند الله، وأن الله يحمى بيته الحرام كما قال له "عبدالمطلب".

وأمر ما تبقى من جنوده بالانسحاب، والعودة إلى اليمن، بعد أن هلك منهم الكثير، وحملوه هو الآخر مريضا هزيلا، بعد ما أصابه جند من جنود الله بحجر من سجيل، ثم مات في الطريق.

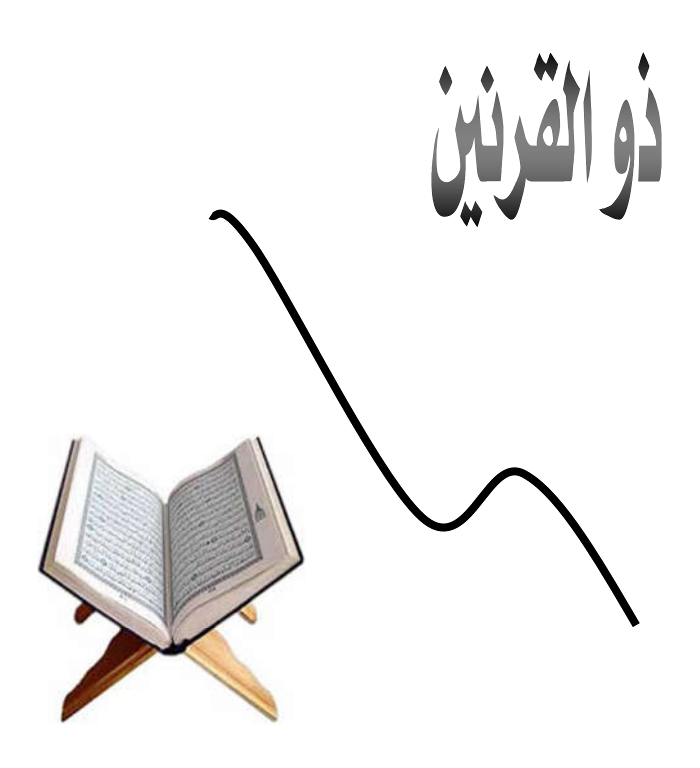
وبذلك.. حفظ الله بيته الحرام، وأبقي الزعامة لقريش عند العرب، وزاد من هيبة البيت وقداسته عند الناس، بل وتربصوا لكل من ينتقص من البيت، أو يحاول الاقتراب منه بسوء.

وأنزل الله سبحانه وتعالى قرآنا كريما، يتلى إلى يوم الدين، يخبرنا ويذكرنا بهذه الحادثة العظيمة، حيث قال تعالى:

["أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥) "] الفيل



ذو القرنين



-٧-

ذو القرنين



قائد عظيم، وملك قوى واسع السلطان، كثير الأعوان.

يسر له الله سبحانه وتعالى الأسباب، فسار في الأرض شرقا وغربا، ينشر العدل في كل مكان، يساعد المحتاجين، ويرفع الظلم عن المظلومين.

ورغم ما أنعم الله عليه من قوة وسلطان وأعوان، ما طغى أوتكبر أوتجبر، وما استغل فردا أو جماعة لغرض من أغراضه، أو لغنيمة من غنائم الدنيا، ولكنه استخدم هذه النعم في إصلاح الأرض وتعميرها.

سار "ذو القرنين في الأرض مجاهدا، يدعو إلى الله سبحانه، يصلح كل معوج، ويكسر كل جبار، وينصف كل مظلوم، لا يبالي صعوبة الطريق، أو حرارة شمس، أو برودة شتاء، كل ما يريده هو إرساء العدل بين الناس.

حتى وصل إلى مكان إلى مغرب الشمس، ولا حياة خلفه تستحق الغزو أو الفتح، ولا سبيل للجهاد بعد ذلك.

ولكنه رأى هناك قوما تفشي بينهم الظلم والطغيان، ويملأون الأرض فسادا، ويسفكون دماءهم بينهم، استجابة للشيطان ونوازع النفس.

استخار الله في شأنهم، ومايفعل بهم، فألهمه الله أنه يملك أمرهم بإذنه تعالى، فإما أن يذيقهم العذاب جزاءا لكفرهم وطغيانهم، أويحسن إليهم ويدعوهم بالحسنى.

["إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا(٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا(٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)"]

واختار ذو القرنين سبيل الإرشاد والدعوة بالحسنى، لعل الله يخرج من بينهم من يتبع الهدى، ثم حذر وهدد، فمن يظلم بعد ذلك، فسوف نعذبه بأيدينا في الدنيا، ثم يعذبه الله عذابا شديدا يوم القيامة، وأما من يؤمن لدعوة الحق، ويعمل الصالحات، فسوف نقابله إحسانا بإحسان أفضل منه،

[" قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)"]

وأقام ذو القرنين بين القوم مدة من الزمن، أرسي قواعد العدل بين الناس، ونصر المظلوم، وضرب على يد الظالم بكل قوة، وأصلح الأرض، وشيد العمران.

وعندما اطمأن على صلاحهم، واستقامة المعوج منهم، فارقهم إلى الجهة الأخرى، سار غازيا كعادته، مصلحا معمرا لكل مكان يسير فيه، حتى وصل إلى الشرق.

هناك وجد أقواما تطلع عليهم الشمس، ليس عليهم ما يسترهم، يعيشون في فوضي، وعلى درجة كبيرة من الجهل، فمكث فيهم بعض الوقت، أرسي بينهم العدل والحكمة، وفاض عليهم من نور علمه، ثم ذهب عنهم.

ثم وصل بين السدين، فوجد قوما لا يكاد يفهمون قولا، ولا تعرف لغتهم، لكنهم أصحاب حظ سيئ، لأنهم يجاورون قوم يأجوج ومأجوج.

وعندما رأوا ذا القرنين وما عليه من قوة وسلطان، استنجدوا به وبجيشه العظيم، لأن قوم يأجوج ومأجوج جيران سوء، يظلمون من حولهم، ويفسدون في الأرض، ولا رادع لهم، فهم أصحاب قوة وجبروت.

ثم طلبوا منه أن يجعل بينهم وبين قوم يأجوج ومأجوج سدا منيعا، يكفيهم شرهم، وعرض القوم علي ذي القرنين أموالا جزاءا لحمايته لهم من ظلم يأجوج ومأجوج.

["حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا(٩٣)قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) "]

لكن ذا القرنين رفض أجرا لما سوف يقوم به، لأنه جبل على عمل الخير في الأرض، وأعطاه الله من الملك والكنوز والخيرات أكثر مما يظنون، وطلب منهم أن يساعدوه في بناء سد منيع، يفصل بينهم وبين قوم يأجوج ومأجوج.

وسرعان ما استجابوا له، وجمعوا له الحديد والنحاس والفحم والخشب، ووضعوه بين الجبلين، فأوقد ذو القرنين النار في الخشب، ثم أفرغ عليه النحاس بعد أن أذابه، حتى أصبحا سدا أملسا، لا يستطيع قوم يأجوج ومأجوج أن يتسلقوه، وبذلك أمن القوم شرهم وبطشهم.

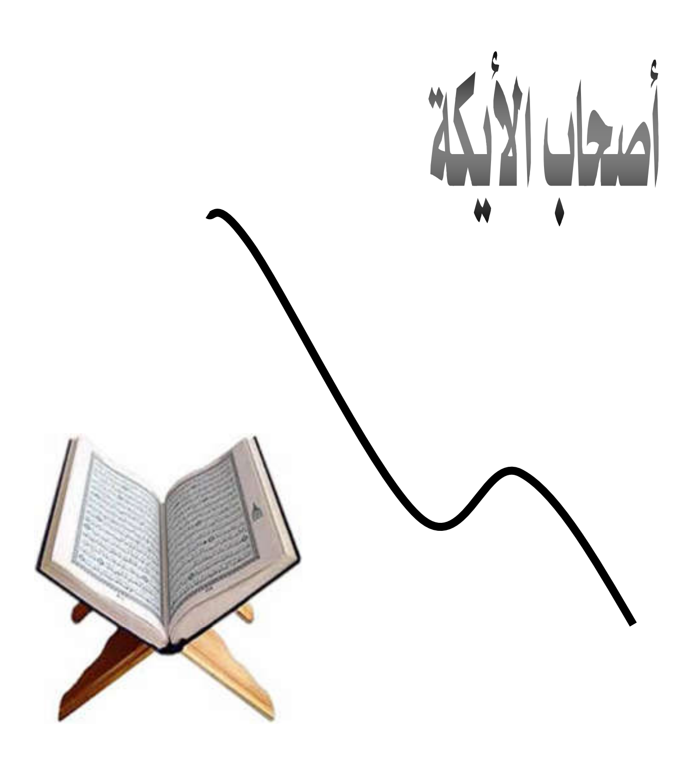
["قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)"]

وعندما رأى ذو القرنين السد منيعا قويا، لم يأخذه الغرور، أويتباهى بقوته وعلمه، ولكنه ذكر الله، وحمده على نعمته، وردّ الفضل والتوفيق في أعماله كلها إلى لله سبحانه وتعالى.

[" .قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)"].

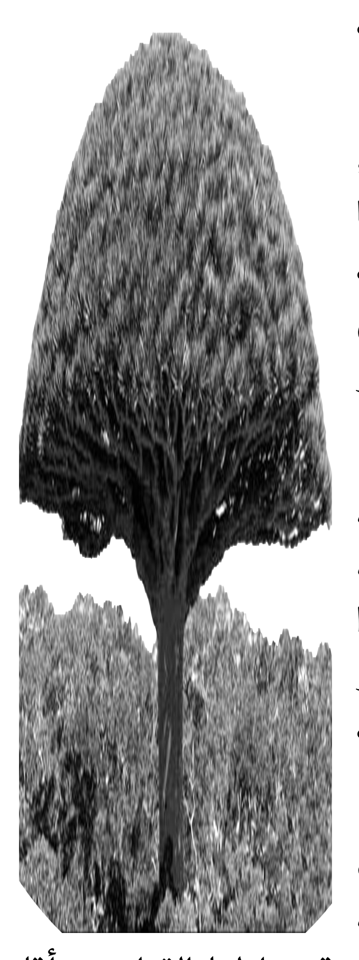


أصحاب الأيكة



- ٨ -

أصحاب الأيكة



في أطراف الشام، تقع أرض "معان"، يسكنها أهل مدين.

كانوا ضعفاء قليلي العدد، فقراء أذلاء في الأرض، ثم منحهم الله فوق ما يتمنون، ووهب لهم الكثير من الأولاد، ورزقهم من طيبات الأرض كل ما تشتهى الأنفس، من صحة وعافية لم يمنحها للكثير من قبلهم.

بعد هذا النعيم الذي وهبه الله لهم، كان يجب عليهم شكر الله وعبادته وحده، ولكنهم جحدوا فضل الله، وبحثوا عن شريك له في العبادة، فلم يجدوا غير شجرة كبيرة، سميكة الجذع كثيرة الأغصان، غزيرة الأوراق، طويلة عن غيرها.

زين الشيطان لهم عبادة هذه الشجرة، فاتخذوها إلها غير الله سبحانه وتعالى، فركعوا لها، وسجدوا عند جذعها، وقدموا لها القرابين، وأقاموا لها الأعياد، واجتمعوا عندها في مناسباتهم، متبركين بلمسها والالتفاف حولها، مقدسين فروعها وأوراقها، مخلصين في عبادتها، كأنها إله بحق.

ومرت سنوات، وتوارثت الأجيال عبادة هذه الشجرة، وليس هذا فحسب، بل استعانوا على ظلم الناس بنعمة القوة التي منحهم الله إياها، فقطعوا السبيل، وأرهبوا المارة، ثم بخسوا الميزان والمكيال، مغترين بقوتهم وكثرة عددهم.

ورغم هذا الكفر الذي هم عليه، مازال الله سبحانه وتعالى رحمانا رحيما بهم، ومازال يرزقهم من طيبات الأرض ورزق السماء، ويمدهم بالأولاد والقوة.

لم يعجز الله سبحانه وتعالى في أمر قوم مدين، فهو القادر على أن يميد بهم الأرض، أو يرسل عليهم عذابا من السماء، ولكنه أمهلهم، وأعطاهم نعمة أخرى، فأرسل إليهم نبيهم "شعيبا" عليه السلام، وهو واحد منهم، وليس بغريب عليهم.

دعاهم سيدنا "شعيب" إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأيكة التي هي خلق من مخلوقات الله، وأخبرهم أنه لا سلطان لها على رزقهم وحياتهم كما يظنون، ودعاهم إلى ترك القبائح، وعدم ظلم الناس.، ونهاهم عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، وعن الفساد في الأرض، وقطع الطريق على المارة وإرهابهم.

{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }.

وذكّرهم سيدنا "شعيب" بنعم الله عليهم. وهو الذي رزقهم بالأولاد الكثيرة، بعد أن كان عددهم قليلا، ورزقهم بالطيبات بعد أن كانوا فقراء.

ولكن القوم كذبوا سيدنا شعيبا، واستهزءوا به، رغم أنه ذكّرهم بحال الأمم المكذبة قبلهم، وما حل بهم من العذاب، لما خالفوا رسل ربهم .

وقال لهم : " إن قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، كذبوا رسل الله، وعاندوهم، ونابذوهم ، فحل عليهم العذاب الأليم ".

{ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ ببعيد ٌ}

لم ييأس سيدنا شعيب، ولم يغضب حين استهزأ به القوم، أو يظهر لهم جفوته، بل تلطف في جدالهم، وحاول استمالتهم باللين والرأفة، واجتذابهم بالرفق، مبينا الصلة التي تربط بينه وبينهم.

ثم أبلغهم أن الله أوحى إليه بالهدى، وأنه أرسل إليهم بالحق، ليرشدهم إلى ما لم يهتدوا إليه من قبل، ولم يبغ من دعوته منهم جزاءا ولا شكورا، لأن جزاءه على الله وحده، بل يريد إصلاح أمرهم فقط، غير أنه لم يجبر أحد على إتباع دعوته، ولم يأمرهم بشئ إلا إذا ارتضاه على نفسه.

لكن القوم سخروا منه مرة أخرى، وقالوا له :" هل دينك ينهانا عن عبادة الأيكة التى كان يعبدها آباؤنا وأجدادنا السابقون، وينهاها أن نعامل الناس كما تهوى أنفسنا، ونترك تطفيف الميزان، وهذا ما نشأنا عليه وكثرت به أولادنا وزاد من أرزاقنا.

(قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) (٨٧)

أظهر لهم سيدنا "شعيب" فساد اعتقادهم، بالحجة البالغة، وحذرهم عاقبة ظلمهم، ودعاهم إلى الرحمن الرحيم، و إلى الاستغفار والتوبة إلى الله سبحانه .

{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}

أصروا على المراوغة والعناد، وكابروا وجادلوا مرة أخرى، وقالوا: لا نعقل كلامك ولا نفهمه ولا نحبه، ولا نريده ، وأنت ضعيف عندنا، ولولا رهطك و قبيلتك لرجمناك، ورغم أننا نشهد برجاحة عقلك، وسعة حلمك، لن ننتهي عن دين ورثناه وألفناه، ولن نتبع دينك الذي لا نفهم منه شيئا.

{ يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ}

لم يخش سيدنا شعيب تهديدهم ووعيدهم، ولم ترهبه قوتهم وعددهم، ولم يضعف شرهم من عزيمته، ومضي في سبيل دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، حتى وجد آذانا صاغية، وقلوبا واعية، وآمن بعض الناس.

خشي القوم أن تتسع دعوته، ويتبعه الناس، فتقوى شوكته، وتكثر جماعته وينتشر دينه، فتوعدوه ومن آمن معه، فإن لم يرجعوا عن دينهم، فسوف يخرجوهم من قريتهم.

وعندما زاد عنادهم وتكبرهم، وأصروا على الكفر وعبادة الأيكة، يئس سيدنا "شعيب" من هدايتهم، فدعا الله بالنصر على القوم الظالمين، فاستحقوا العقاب.

جمع الله لهم صنوفاً من العذاب، لأنهم جمعوا صنوفاً كثيرة من الأفعال القبيحة والشنيعة، فأصابهم حر شديد مدة سبعة أيام , ثم جاءت إليهم سحابة في السماء، انطلقوا إليها، يستظلون بظلها من الحر، حتى اجتمعوا جميعا تحتها، وإطمئنوا لظلها، فأرسل الله تعالى عليهم شرراً من نار، ولهباً ووهجاً عظيماً ،ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم جميعا ، ونجي الله سيدنا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منه سبحانه.

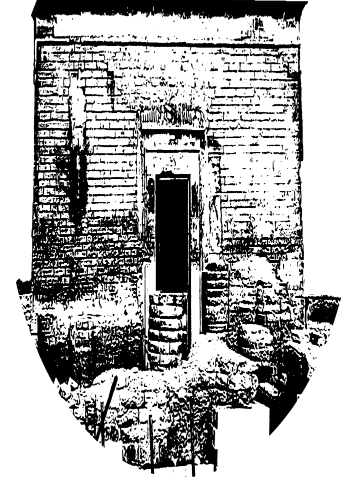
(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾)

❖❖❖


كنوز قارون

-٩-

كنوز قارون



من بني إسرائيل، من قوم سيدنا موسى عليه السلام، ومن عشيرته الأقربين، وقد رزقه الله تعالى سعة في الرزق، وكثرة في الأموال، حتى اكتظت بها خزائنه الكثيرة، ولم يستطيع حمل مفاتيحها جمع من الرجال الأقوياء، فأثقلهم حملها؟.

عاش بين قومه حياة الرغد والترف والمجون، اجتمعت له أسباب السعادة، فلبس الثياب، الفاخرة، وسكن القصور، ولم يخرج على قومه إلا في أبهى زينة بين أتباعه، وعدد كبير من الخدم والعبيد، مستمتعا بملذات الحياة التي سوف تزول عاجلا أو آجلا .

ورغم هذا النعيم، لم يكن عبدا شكورا، بل طغى وتكبر، وملأه الغرور والتجبر، حتى ظن أنه خلق من طينة غير التي خلقت منها الناس، وأنهم لم يكونوا إلا خدما وعبيدا له، مسخرين رهن أوامره.

مارس سطوته وجبروته على كل من حوله، يعجبه أن تنحني له الرؤوس حين يتكلم، وينتشي حين تسارع الناس إلى تلبية إرادة له، يعاقب بقسوة كل من يخالفه الرأي، حتى ولو كان المخالف على صواب، والويل كل الويل لمن لم يناصره.

ضاق المؤمنون من بني إسرائيل بما يفعله قارون، فهو لم يعطف على فقير، أو يكسو عريان، أو يفعل أي خير تذكره الناس به.

ذهب جمع منهم إليه، حاولوا إسداء النصيحة، وحذروه من شهوة المال الذي ينسيه حق الله عليه، وينسيه الإحسان على الفقير، وإعانة المحتاج، وإطعام الجائع، حتى يكتسب حمد الناس في الدنيا، ويربح ثواب الآخرة، ثم ذكروه بأن ما به من نعم فهو من عند الله، وليس للإنسان فضل في نعمة واحدة تبدو عليه.

لكن قارون قابل نصائحهم بالسخرية، وقال لهم أنه لا يحتاج إلى نصائحهم، لأنه أرجحهم عقلا، وأسداهم رأيا، وأنه اكتسب ماله بعلم وفضل من عنده، وأن الله فضله على غيره من الناس، ولذلك أعطاه المال الكثير.

وأراد قارون أن يثير غيظ ناصحيه أكثر، فخرج إلى الناس في زينته، بين حشد كبير من الخدم والعبيد، ورآه الفقراء والمساكين والمستضعفين، وضعاف الإيمان من القوم، وهو في ثيابه المرصعة بالذهب والفضة، أبهرتهم زينته، وفتنتهم الحياة، فحز في نفوسهم أن يكون واحد منهم بهذا النعيم، وهم في بؤس شديد، فتمنوا أن يكونوا لديهم مثل قارون.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)﴾

كما رأته طائفة أخرى من الناس، ولكنهم متصلون بالله، لم تبهرهم زينته، ولم تفتنهم الحياة، أو تتهافت نفوسهم إلى هذا النعيم، لأن قلوبهم عامرة بالإيمان، يعرفون أن زينة الدنيا عرض زائل لا محالة، وأن ما عند الله خير وأبقي مما عند قارون، وهؤلاء هم الذين من الله عليهم بالعلم.

وعندما سمعوا قول المستضعفين والفقراء وأمنياتهم، أنكروا عليهم قولهم وأمانيهم، وذكروهم بأن ما عند الله خير مما عند قارون.

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)﴾)

وذات مرة كان قارون في زينته، يسير بين مريديه وعبيده، فاستوقفه سيدنا "موسي" عليه السلام، وأخبره أن عليه أن يؤدى زكاة ماله، ودعاه إلى الإحسان إلى الفقراء، لأن في ماله حق معلوم للسائل والمحروم،.

وبعد جدال طويل بين سيدنا "موسي" و"قارون"، خضع قارون، لأن زكاة المال أمر من الله، لا مساومة فيه أو جدال.

وعاد إلى قصره، وبدأ يحصي ماله كله، ويحصي حق الفقراء والمساكين فيه، فبرق في عينيه حب المال، وكبر في نفسه حق الفقراء والمساكين، فضمه إلى ماله مرة أخرى، مستسلما لشهوة حب المال.

وبدأ قارون يقلل من شأن سيدنا "موسي" عليه السلام أمام الناس، يجاهد في فتنتهم بأمواله، ليصرفهم عن عقيدتهم وحبهم لسيدنا موسي.

استخدم نفوذه وسطوته، وأخبرهم أن "موسي" ليس بنبي كما يدعى، وأنه جاء بهذا الدين من عنده، وحين صدقت الناس موسى، وجارته فيما يقول،زاد طمعه، وتجرأ عليهم، وأراد أن يستحوذ علي أموالهم كما استحوذ على قلوبهم.

هكذا كان يقول "قارون" للناس، ولكن لم تفلح محاولاته في زعزعة عقيد الذين أمنوا حقا، كما لم يمل سيدنا موسي من دعوته، ودعاه مرات ومرات ليصلح من شأنه مع الله.

لكن قارون جهر بالفساد، وبلغ بالزينة ذروتها، وتهافتت النفوس الضعيفة لما لديه من ثروة ومتاع، فخشي سيدنا موسي على الناس من فتنته ، بعد أن يئس من صلاحه، فدعا الله أن ينزل به عذابه، ليكون عبرة يراها الجميع، ويرتاح من فتنته التي تشغل الكثير من بني إسرائيل.

استجاب الله لدعوة سيدنا موسي عليه السلام، وخسف به وبداره الأرض، وابتلعته هو وأمواله وقصوره، بعد أن كان يسير عليها متباهيا بما لديه من نعيم، كافرا بنعم الله عليه، وبحق الفقراء والمساكين في أمواله، وأصبح ضعيفا في باطنها، بعد استعلائه عليها، ولم يجد من أتباعه ناصرا أو معينا.

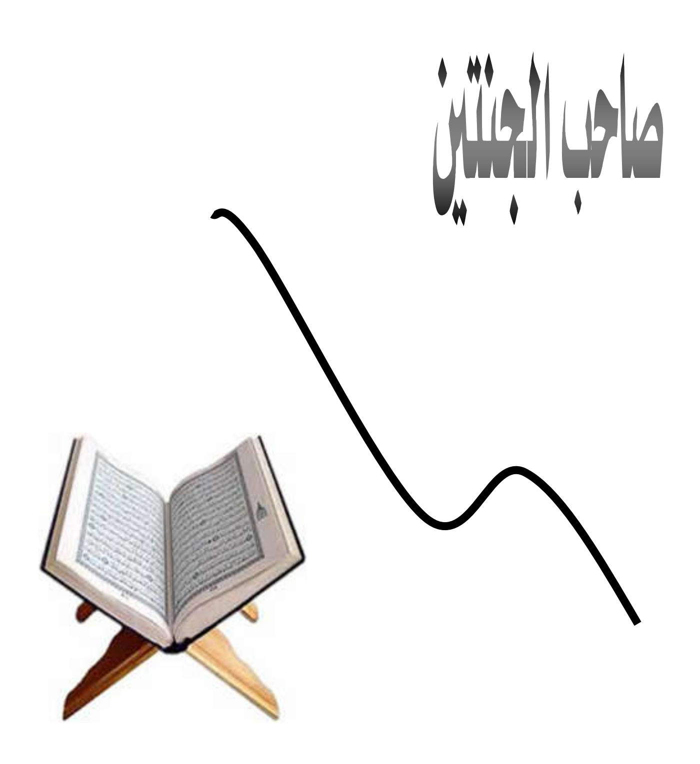
("فخسفنا به وبداره الأرض , فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله , وما كان من المنتصرين")

وسرعان ما رجع أصحاب النفوس الضعيفة إلى صوابهم، عندما رأوا ما حل بقارون، وندموا على ما كانوا عليه من فتنة، وعلى ما كانوا يتمنوا، وشكروا الله على أنهم لم يفتنوا بالمال مثله.

("وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ")



صاحب الجنتين



- ١٠ -

صاحب الجنتين



بسط الله سبحانه وتعالى الرزق لواحد من خلقه، وأعطاه من الدنيا متاعا عظيما، جعل له جنتين مزروعتين ثمار العنب والنخيل، ومسورتين بصفوف النخل من جميع الاتجاهات، وفجر الله له نهرا يجري بين الجنتين، غير الزوع التي بين أشجار العنب.

وكل هذا اختبار من الله سبحانه وتعالى، لينظر ماذا يكون من العبد، هل يطغى ويكون من الكافرين... أم يتواضع ويكون من المؤمنين الشاكرين..؟.

[واضرب لهم مثلا رجلين جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِن أعنابٍ وحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وجَعَلْنَا بينهما زَرْعًا * كِلتا الجنَّتَيْنِ آتتْ أُكُلَهَا ولم تَظْلِم منه شَيئًا وفَجَّرْنَا خلالهما نَهَرًا * وكان لهُ ثَمَرٌ][الكهف: ٣٢-٣٤]

وكان له صاحب مؤمن، ابتلاه الله بضيق ذات اليد، وقلة الرزق والمال، بعد أن كان ثريا، لأنه أنفق ماله كله على الفقراء والمساكين، يبتغي بذلك وجه الله، وجزاء الآخرة.

وإذا كان الله ابتلاه بضيق اليد، ليس كرها له أو غضبا عليه، ولكن اختبارا من الله عز وجل، ليرى عبده هذا، هل يكون من الصابرين الشاكرين. أم يكون من الكافرين..؟.

ونجح هذا العبد المؤمن المبتلى بقلة الرزق في اختبار الله له، فمازالت نعمة الإيمان بالله باقية راسخة في قلبه، رغم فقره، راضيا بقضاء الله وقدره، يحسن الظن دائما في الله.

وذات يوم، ذهب الرجل المؤمن إلى صاحبه، يريد منه شيئا، ولكن صاحبه بدأ يلومه ويؤنبه، لأنه أنفق ماله كله على الفقراء والمساكين، ولم يستبق لنفسه شيئا، يعينه على إحتياجاته الدنيوية.

وقال له: " أنا أفضل منك، لأنني حافظت على مالي، ولم أنفقه على الرعاع كما فعلت أنت، حتى زادت ثروتي، وأصبح لي جنتان كما ترى، فلن احتاج لأحد قط، لأنني أملك مالا يملكه غيري من الناس.

("وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً{٣٤}")

لم يهتم الرجل المؤمن بقول صاحبه في أول الأمر، حتى دخلا جنتي صاحبه، ورآه معجبا مغترا بهما، ظالما لنفسه كافرا بربه وبنعمه عليه، متكبرا على الناس.

وظن صاحب الجنتين أنه أفضل الناس وأسعدهم حظا، وأن الجنتين لن تبيدا أبدا، وليس هناك بعثا ولا أخرة كما يقولون.

لكن الرجل المؤمن لم يعجبه في صاحبه هذا الغرور، وهذا النكران لنعيم الله وفضله عليه، فذكره بالله، ودعاه للإيمان بالله واهب النعم، ثم حذره من غضب الله وانتقامه منه.

وقال له: " لا تظن أن كثرة نفقتي على الفقراء والمساكين هي التي أفقرتني، فهم أصحاب حقوق عليّ، كما هم أصحاب حقوق عليك، لأن الله حينما أعطانا المال، جعلنا مستخلفين عليه، وللفقراء والمساكين نصيب فيه، وعند الله الأجر الكبير كما وعدنا، ولا تنسي أن الله كما أعطاك كل هذا النعيم، قادر على أن ينزعه منك، فلولا فضل الله ما كنت أنت ولا كانت جنتك، فعليك بالشكر والاعتراف بفضل الله، حتى تدوم عليك النعم".

تملك الغرور من الرجل الكافر بنعم الله، وأسكرته نشوة التعالي والكبرياء، ولم يخشع لذكر الله، أو ينصاع لنصائح صاحبه المؤمن، فلم يشكر الله.

ودخل جنته، وكل خطوة يزداد تعاليا واستكبارا، ينظر إلى العمال في كبرياء شديد، كأنهم عبيد، ناسيا أن الله سبحانه خلقنا من طينة واحدة، ولا فضل لأحد على احد إلا بتقوى الله والعمل الصالح.

["وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً{٣٥} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً{٣٦} قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً{٣٧} لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً{٣٨} "]

وصاحبه المؤمن مازال ينصحه، ربما يعود عن هذا الكبرياء وذاك التعالي، ويذكره إن الذين تسخر منهم ويتعالى عليهم الآن، ربما يحتاج إليهم في يوم ما، وربما يكونوا أفضل منك عند الله سبحانه وتعالى، فلا تكفر بالله الذي خلقك من تراب، وجعلك في أحسن صورة.

لكن الرجل الكافر تمادى في الغرور، وتمادى في سد أذنيه عن النصيحة، ثم ترك صاحبه المؤمن وعاد مغترا إلى بيته، ولم يعرف أن الله له بالمرصاد.

وفي اليوم التالي، خرج الرجل الكافر من بيته، قاصدا جنتيه كعادته، ومازال ينظر إلى الناس في تعالى وكبرياء، حتى وصل جنته، وكانت المفاجأة.

لقد أرسل الله علي جنته وابلا من السماء، اقتلع أشجارها، وأبادها عن آخرها، فلم يعد هناك شئ يتعالى به على احد، فأصبح نادما، يقلب كفيه في تعجب، كيف أبيدت وأصبحت خاويية من الثمار..؟. تمنى لو سمع نصائح صاحبه المؤمن، ولكن. هل ينفع الندم..؟.

["لَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً{٣٩} فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً{٤٠} أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً{٤١} وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً{٤٢} وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً{٤٣}"]



الفهرس